اشكرِ الله تعالى حيث لم تؤهَّل لهذا، فإنَّ الرجل أولاده ملوك، وما كان يحصل لك إلا اللعان والسُّبَّة والغَدْر بمن وثق إليك.

السنة التسعون وخمس مئة

فيها زادت دِجْلة، ووصل الماءُ إلى سور بغداد العتيق الغربي الذي بناه المنصور، فأبان الماءُ عن تلٍّ قريب السُّور، وفي التَّلِّ مَيْتٌ وقد بلي، وعظامه مسداة[١]، وهو مسمَّر بمسامير الحديد، وعليه ضبات من الحديد، وفي وجهه ضبة فيها مِسْمارٌ كبير، وآخر في سُرَّته، وكان هائل العِظام.

قال ابنُ القادسي: وفيها أهدر الخليفةُ الطيور العتق، وأمر بذبحها ومحو أثرها، وعَمَدَ إلى فراخٍ ذبح آباءها وأمهاتها، واستفرخ الأولاد، وأرسلها إلى المشاهد لتطير إلى بغداد، وفوَّض أمرها إلى قاضي القُضاة ابن البخاري ويوسف العقاب مقدَّم الفِتْيان، وجعلها اثني عشر صنفاً باسم الأئمة الاثني عشر، ثم سمَّاها فقال: العلويات والحسنيات والحسينيات والمحمديات [والكاظميات والهاشميات والباقريات والعبدويات والزيديات][٢] والمهديات والصَّادقيات والعابديات، وأرسلها إلى المشاهد، فطارت منها إلى بغداد.

[قال القادسي][٢]: وحكى [لي][٢] عمر بن كُلَيْب التَّاجر قال: نزلنا في بلاد الرُّوم تحت شجرة عليها ورق أخضر وزهر أصفر، فأخذ بعضُنا يصفق وينشد: [من السريع]

يا نازلاً بالبَلَدِ البَلْقعِ ... ويا ديارَ الظَّاعنين اسمعي
ما هي بأطلالٍ ولكنَّها ... رسومُ أحبابي فنوحي معي

[قال][٢]: فلم يزل يردِّدُها حتى ألقت الشجرة ورقها بأسره.

وفيها قَدِمَ ابنُ القَصَّاب الوزير من العجم، وخَلَعَ عليه الخليفةُ، وأمر أربابَ الدَّوْلة أن يمشوا بين يديه، منهم ابنُ يونس أستاذ الدَّار، وكان وزيراً قبل هذا، فامتنع [ابن يونس من المشي بين يديه][٢]، فقال ابنُ القَصَّاب: هذا ظاهَرَ الخوارجَ على الخليفة،

(١) كذا في (ح)، ولم أتبين معناها.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكَسَرَ عسكره بحماقته، وشنَّع على الخليفة بأنَّه مات، وكَتَبَ محضراً بذلك، وأثبته على القضاة، وعَرَضَه على الخليفة، فأمر بالقَبْض على ابن يونس، وأُهين ،وأُخذ أخذة شنيعة، وقيد ورُمي تحت التَّاج، فكان آخرَ العهد به.

[ذكر محنة جدِّي رحمه الله:

لما قُبِض ابن يونس تتبع ابن القصَّاب][1] أصحابَه، فقال له الركن عبد السَّلام: أين أنتَ من ابن الجوزي؟ هو كان من أكابر أصحاب ابنِ يونس، وأعطاه مدرسةَ جدِّي، وأحرق كتبي بمشورته، وهو ناصبي من أولاد أبي بكر. وكان ابن القصاب متشيِّعاً، فكتب إلى الخليفة، وساعده جماعةٌ من أهل مذهبه، ولبَّسوا على الخليفة، فأمر بتسليمه إلى عبد السَّلام.

قال المصنف رحمه الله: وكان جدِّي يسكن بباب الأَزَج في دار بنفشا، وكان الزَّمان صيفاً، وهو جالس في السِّرْداب يكتب، وأنا صبيٌّ صغير، [وجرى عليهم ما لم يجر على أقل الناس][2]، وإذا بعبد السَّلام قد هَجَمَ عليه السرداب، وأسمعه غليظ الكلام، وخَتَمَ على كتبه وداره وشتَّت عياله، فلما كان [في][2] أول الليل حملوا جدِّي إلى سفينة، فأنزلوه فيها، ونَزَلَ معه عبد السَّلام لا غير، وعلى جدِّي غِلالة بغير سراويل، وعلى رأسه تخفيفة، وحدروه إلى واسط، واستوفى منه الكلام، وجدِّي لا يجيبه، وبلغني أَنَّ جدي أقام خمسة أيام ما أكل طعاماً إلى واسط، وسيق عبد السَّلام إلى واسط، وكان ناظرها العماد ابن مينا، وكان متشيعاً، فقال له الركن: حَرَسَ الله أيامك، مكِّنِّي من عدوي لأرميه في المطمورة، فَعَزَّ عليه وَزَبَره، وقال: يا زنديق، أرمي ابن الجوزي في المطمورة بقولك، هاتِ خط الخليفة! والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خِدْمته. فعاد عبد السَّلام إلى بغداد، وأقام جدِّي في دار بدرب الدِّيوان، وعلى بابه بوابٌ لا غير، وكان قد قارَبَ ثمانين سنة، فكان يخدم نفسه؛ يغسل ثوبه، ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، ولم يدخلِ الحمَّام مدَّة خمس سنين مقامه بواسط، ولما عاد إلى بغداد سمعته

(١) في (ح): وتتبع ابن القصّاب أصحابه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يقول: قرأتُ بواسط مدَّة مقامي كل يوم ختمة، ما قرأتُ فيها سورة يوسف من حُزْني على ولدي يوسف، وكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة.

[منها هذه الأبيات: [من الطويل]

أحبَّة قلبي لو يُباع رجوعُكُمْ ... علينا لكُنَّا بالنفوس فديناكُمْ
فلا تحسبوا أني نسيتُ ودادكم ... وإني وإن طال المدى لستُ أنساكُمْ
وأسأل أنفاسَ الرِّياح لأنها ... تمرُّ على أطلالكُمْ وتلقاكمْ
قضى الله بالتفريق بيني وبينكم ... فياليتنا من أجله ما عرفناكمْ

ومن كان وكان:

لما تزايد وجدي فيكم وقل تصبري ... وعَزَّ فيكم عزائي وقلت الحركات
يا حاضرين بقلبي يا غائبين عن النظر ... يا ساكنين فؤادي أطلتم الحسرات
متى يجيء مبشر من عندكم بقدومكم ... ويفرحون أصدقائي وأكمد الشمات
متى تدق طبول الهنا على أبواب الرجا ... وقول للعين قري قد رد ما قد مات
متى يقولوا قد جو وأخرج بسرعة للقا ... وأقول يا أحبائي أطلتم الغيبات
وإن قضى لي ربي أموت ولا أنظر شخصكم ... وجاء نذيري إليكم يقل لكم قد مات
فحدثوا بحفظ الوفا على رأس الملا ... إني على العهد باق حتى يجي الميقات

ومن المواليا:

مالي ومالي ومالي ... تغيرت أحوالي
لقيت ما لا يكيف ... ولا يدور ببالي
يا بيت عبد القادر ... كنتم ببختي في القضا
ما مثلهم يحسدني ... ولاهم أمثالي
هم هم في نفسي ... وضيقوا في حبسي
ومزقوا كتب درسي ... عمداً وهم رأس مالي
مئة ألف عندي ... يبكون مما قد جرى
ثلاث مئة مصنف ... ما لاكها الغزالي
لو أن مسلم يرفع ... إلى الإمام لوقع

من حين ما كان يسمع بقصتي قد رثى لي من أبيات][1].

واختلف النّاس في [كيفية محنة جدي، والظاهر أنها بسبب][2] ابن يونس [وما فعل ببيت عبد القادر][1]، وأهل بغداد يقولون شيئاً آخر، والله أعلم.

وفيها عاد الاختلاف بين العزيز والأفضل، وسببه إغراء الجُنْد والوسائط، وكان أكثر المحرِّضين للعزيز على الأفضل سامة، قال له: إنَّ الله يسألك عن الرعية، هذا الرجل قد غرق في لهوه وشُرْبه، واستولى عليه الجَزَري وابن العجمي. وقال له ابن أبي عَصْرون: لا نسلم يوم القيامة ـ وكان العزيز قد ولاه القضاء على مصر سنة تسعين، فأقام قاضياً عليها حتى عزله العادل ـ وبلغ الأفضل قول سامة وابن أبي عصرون، فأقلع عما كان عليه وتاب، وندم على تفريطه، وعاشَرَ العلماء والصُّلحاء، وشَرَعَ يكتب مُصْحفاً بخطِّه، وكان خطُّه مليحاً. ونزل العزيز لقصده، فسار الأفضل إلى عمه العادل يستنجد به، فالتقاه على صِفِّين، فسار معه بعساكر الشَّرْق إلى دمشق، وجاء الأفضل إلى حلب، واتَّفق مع أخيه الظَّاهر وتحالفا، وجاء إلى حماة وحمص، ففعل كذلك، وجاء إلى دمشق، وكان العادل يشير عليه بعَزْل الجَزَري عن الوِزَارة ويقول: هذا يخرِّب بيتك. ولا يلتفت إليه، فحَنِقَ عليه، وكان الظَّاهر يشاقق ابنَ تقي الدين صاحب حماة، وعز الدين ابن المقدَّم صاحب بارين، ودُلْدُرم صاحب تل باشر، فكَتَبَ الظَّاهر إلى العادل في تسليم تل باشر إليه، وأن يكون صاحب حماة وابن المقدَّم مضافين إليه، فلم يجبه، فغضب الظَّاهر، وانفرد عنهم، وكتب إلى العزيز يخبره أَنَّه معه، ويستحثُّه على القدوم إلى دمشق، فجاء العزيز مسرعاً، فنزل الفَوَّار آخر شهر رمضان، وعَلِمَ العادل أَنَّه لا طاقة له بالظَّاهر والعزيز، فراسل الأَسدية، وأوعدهم بالأموال والإقطاعات، وكان العزيز قد قدَّم الصَّلاحية، ورفعهم فوقهم، فحنقوا عليهم، وتمكَّنتِ العداوة بينهم، فدسَّ إليهم العادل الأموال والهدايا والتُّحف السنية، وكان مقدَّم الأكراد أبو الهيجاء السَّمين، وكان العزيز قد عَزَله عن ولاية القُدْس، ومقدَّم الأسدية سيف الدين أزكش، وقد كان العزيز قَصَّر في حقِّه، فركب أبو

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): واختلف الناس في سبب محنته، والظاهر ابن يونس وأهل بغداد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الهيجاء وأزكش في الليل، وقصدا دمشق، فأصبح العزيز، فلم يَرَ في الخيام من الأسدية أحداً، فرجع إلى مِصْر، وشرع أزكش وأبو الهيجاء والأسدية يحرِّضون العادل على مِصْر، وكانت الأسدية والأكراد يكرهون العادل، وإنما دَعَتْهم الضَّرورة إليه، وهي مباينتهم للعزيز، واتَّفق العادل والأفضل، وتحالفا، وساروا خلف العزيز إلى مِصْر، فلما وصلوا القُدْس، ولّوا أبا الهيجاء كما كان، وعزلوا جُرْديك عنها، وساروا فنزلوا بِلْبيس، وبها جماعةٌ من الصَّلاحية، فتوقَّف العادل عن القتال، ولِمَ انتزاعُ مِصْر من يد العزيز! فظهرت منه قرائن أحوال تدلُّ على أَنَّه لا يُؤْثر السَّلْطنة للأفضل، ولا يرى تقدمته عليه، فأرسل إلى العزيز يطلب القاضي الفاضل، وكان قد اعتزلهم، وانقطع إلى داره، فأرسل إليه العزيز يسأله، فامتنع، فتضرَّع إليه، وأقسم عليه، فخرج إلى العادل، فاحترمه وأكرمه، وتحدَّث معه بما قرَّره، وعاد الفاضل إلى العزيز، وتحدَّث معه، فأرسل العزيز ولديه الصّغيرين مع خادمٍ له برسالةٍ ظاهرة، مضمونها: لا تقاتلوا المُسْلمين، ولا تسفكوا دماءهم، قد نفَّذتُ ولديَّ هذين يكونان تحت كفالة عمي العادل، وأنا أترك لكم البلاد، وأمضي إلى الغرب. وكان ذلك بمشهدٍ من الأمراء، فَرَقَّ العادل وبكى، وبكى مَنْ حضر، وقال العادل: معاذ الله، ما وَصَلَ الأمر إلى هذا الحد. وقال للخادم: تقول للسُّلْطان عني[1]: البلاد بلادُك، وأنتَ السُّلْطان، ونحن رعيتك.

وكان قد قرَّر مع الفاضل رَدَّ خبز الأسدية وإقطاعهم وأملاكهم، وأن يبقى أبا الهيجاء على ولاية القُدْس، وقال للأفضل: المصلحة أن تمضي إلى أخيك وتصالحه، وما عُذْرنا عند الله وعند النَّاس إن فعلنا بابنِ أخينا ما لا يليق. ففهم الأفضل أَنَّ العادل رجع عن يمينه، وما اتَّفقا عليه، وأَنَّه قد اتَّفق مع العزيز على أَخْذِ البلاد منه، لكنه لم يمكنه الكلام، فمضى إلى العزيز.

فلما بلغه وصوله إلى دمشق في ذي الحِجَّة، ودخل العزيز والعادل والأسدية إلى القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجة، وسَلْطَن العادلُ العزيزَ، ومشى بين يديه بالغاشية، ولو أراد العادل مِصْر لأخذها، وإنما قَصَدَ الإصلاح بين الأخوة، فلما بدا من الأفضل في حَقِّه ما بدا، وأراد قتله ألجأه إلى ما ألجأه إليه.

---

(١) في (ح): وقال الخادم للسلطان عني تقول، وهي عبارة مضطربة، أعدتها إلى حاق تركيبها.

وقال العماد: لما كان العزيز نازلاً على الفَوَّار رحل أبو الهيجاء والأسدية عشية الاثنين رابع شوَّال، وكانوا أكثر العسكر، وأُخبر العزيز بهم، فما بالى بانصرافهم، وقال: صفونا من أكدارهم. ولم يأمر أصحابه باتِّباعهم، وبقي في خواصِّه تلك الليلة، ورحل. واتَّفق العادلُ والأَفْضل على أن تكون ثلث البلاد للعادل، والثلثان للأفضل، وهو السُّلْطان، واستناب الأفضل بدمشق أخاه قُطْب الدِّين موسى، وخاف العزيز من الأسدية الذين في القاهرة أن يفعلوا كما فعل إخوانهم، ويمنعوه من دخولها، وكان قد استناب بها بهاء الدِّين قراقوش ثِقَةً بمودَّته، فلما وصل إلى القاهرة خَرَجَ قراقوش والأسدية إلى لقائه، فأكرمهم وأحسن إليهم، ولما وصل العسكر إلى بِلْبيس غلا السِّعْر، وظهرت ندامة الأسدية، فخاف العادل من ميلهم إلى العزيز وغَدْرهم، وأخبر الأفضل، وقال: المصلحة الصُّلْح. فاستزار الفاضل، ولقيه على فرسخ، وقرَّر الصُّلْح، واستبشر النَّاس بذلك، وعفا العزيز عن الأسدية وأحسن إليهم، واجتمع العزيز بالأفضل، وعاد الأفضل إلى دمشق، وأقام العادل عند العزيز.

وأما الأفضل فإنَّه لما عاد إلى دمشق ازداد وزيره الجَزَري من الأفعال القبيحة، وآذى الأكابر من الدَّولة، والأفضل يسمع منه ولا يخالفه، فكتب قيماز النجمي وأعيان الدولة إلى العادل يشكونه، فأرسل العادل إلى الأفضل يقول: ارفع يد هذا الأحمق السيىء التَّدْبير، القليل التوفيق. فلم يلتفت، فاتَّفق مع العزيز على النزول إلى الشَّام، فسار، فاستشار الأفضل أصحابه، فكلٌّ أشار عليه بأن يلتقي عمه وأخاه، ولا يخالفهما إلا الجزري، فإنَّه أشار عليه بالعصيان، فاستعدَّ للقتال والحصار، وحلَّف الأُمراء والمقدَّمين، وفرَّقهم في الأبراج وعلى الأسوار، فراسلوا العزيز والعادل، وأصلحوا أمرهم في الباطن، واتَّفق العادل مع عز الدين ابن الحِمْصي على فَتْح الباب الشَّرقي، فكان مسلَّماً إليه، فلما كان يوم الأربعاء سادس عشرين رجب ركب العادل والعزيز، وجاء إلى باب شرقي، ففتحه ابنُ الحمصي، فدخلا البلد من غير قتال، فنزل العزيز في دار عمَّته ستّ الشَّام، ونزل العادل دار العقيقي، ونَزَلَ الأفضل إليهما وهما بدار

العقيقي، فدخل عليهما، وبكى بكاء شديداً، فأمره العزيز بالانتقال إلى صرخد، فأخرج وزيره الجزري في الليل في جُمْلة الصَّناديق خوفاً عليه من القَتْل، فأخذ أموالاً عظيمة، وهَرَبَ إلى بلاده، وكان العزيز قد قرَّر مع العادل أن يكون نائبه بمِصْر، ويقيم العزيز بدمشق، ثم ندم، فأرسل إلى الأفضل رسالةً فيها صلاح حاله، [فأذاعها و][1] وصلت إلى العادل، فغضب العزيز، ورَسَمَ عليه بالخروج، فخرج إلى مسجد خاتون بأهله وعياله، وسلَّم العزيز بُصْرى إلى العادل، وكان بها الظَّافر، وأقام العزيز بدمشق أربعة أيام، وصلَّى الجمعة عند مكان قبر والده بالكلاسة، وأمر ببناء القُبَّة والمدرسة إلى جانبها، وأمر محيي الدِّين بن زكي الدين بعمارة المدرسة العزيزية، ونُقِلَ السُّلْطان إلى الكلاسة في سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة، وكان الأفضل قد شَرَعَ في بناء تُرْبة عند مشهد القدم بوصيةٍ من السُّلْطان، فإنه قال: تكون تربتي على الجادَّة ليمر بها الصَّادر والوارد، فيترحم عليّ. فارتفع منها قامة، وجاء العزيز، فحصر دمشق وأخربها، وكان العزيز إذا جلس في مجالس لهوه يجلس العادل على بابه كأنه بردار[2]، فلما كان آخر ليلة من مقامه بدمشق، وكانت ليلة الاثنين تاسع شعبان قال العادل لولده المعظم: ادخل فقبِّلْ يده، واطلب منه دمشق. وكان المُعَظَّم قد راهق الحُلُم، فقبَّل يده، وطلب منه دمشق، فدفعها إليه، وأعطاه سنجقه، وقيل: بل استنابه العادل فيها، وأعطاها للمعظم على ما نبين في سنة أربعٍ وتسعين، ورحل تاسع شعبان إلى مِصْر، ومضى الأفضل إلى صَرْخَد، ونفى العادلُ ابنَ الحمصي الذي فتح له باب شرقي، وكان قد أعطاه عشرة آلاف دينار، فاستردَّها منه، واجتاز العزيز في طريقه إلى مصر بالقُدْس، فَعَزَلَ أبا الهيجاء السَّمين عنه، وولاه سُنْقُر الكبير، ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد، [وسنذكره][1].

وحج بالنَّاس سُنْقُر الكبير النَّاصري من بغداد.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) البردار: يكون في خدمة مباشري الديوان، وأصله فرادار بمعنى: ممسك الستارة، وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة، ثم نقل إلى الديوان. انظر «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ص ٦٢ .

وفيها توفي

أحمد بن إسماعيل بن يوسف[١]

أبو الخير القزويني، الواعظ الشَّافعي، [تفقه بنيسابور على محمد بن يحيى صاحب الغَزَّالي، وسمع بها الحديث وبغيرها][٢]، كان عالماً بالتَّفاسير والفِقْه، متعبِّداً يختم القرآن في كلِّ يومٍ وليلة، ومولده بقزوين سنة اثنتي عشرة وخمس مئة، وقدم بغداد حاجًّا سنة خمسٍ وخمسين [وخمس مئة][٢]، فجلس بالنِّظامية ووعظ، ومال إلى الأَشْعري، فوقعتِ الفتن، وجلس يوم عاشوراء بالنِّظامية، فقيل له: العن يزيد بن معاوية. فقال: ذاك إمامٌ مجتهد. فجاءه الآجُرُّ، وكاد يقتل، وكان ابنه جالساً بين يديه على المِنْبر، فقال له: العنه وإلا قُتِلْنا. فلطمه على رأسه، وألقى عمامته بين يديه، وكَثُرَ الرَّجم، فسقط من المنبر، فأُدخل إلى بيتٍ في النِّظامية، وأغلق عليه الباب، وأُخذت فتاوى الفقهاء بتعزيره، فقال بعضهم: يُضْرب عشرون سوطاً، قيل له: من أين لك هذا؟ فقال: من عمر بن عبد العزيز، سمع قائلاً يقول: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فضربه عشرين سوطاً. ثم تعصَّب للقزويني جماعةٌ، وقالوا: شيخ غريب، وأخرجوه، فمضى إلى قزوين، فتوفي بها في المحرم، [سمع بنيسابور أبا عبد الله الفُراوي، وأبا القاسم الشَّحَّامي، وأبا محمد البيهقي، وغيرهم][٢].

السُّلْطان طُغْريل شاه بن رسلان شاه[٣]

ابن طغريل شاه بن محمد بن مَلِكْشاه بن ألب رسلان [بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق][٢]، وهو آخر الملوك السَّلْجوقية سوى صاحب الرُّوم، وكان مبدأ أمره عند وفاة أبيه سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، وكان صغير السِّنِّ، فكفله البهلوان إلى أن مات سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة، وعادتِ الأتابكية إلى قزل بن رسلان إلدكز، وهو

---

(١) له ترجمة في «الأنساب» للسمعاني: ٨/١٧٨ـ١٧٩ ، «اللباب» لابن الأثير: ٢/٢٦٩ ، «التكملة لوفيات النقلة»: ١/٢٠٠ـ٢٠٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/٥٨ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/١٩٠ـ١٩٣ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/١٠٦ـ١٠٨ ، و«المذيل على الروضتين» : ١/٥٨-٥٩ ، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/٢٦٧ـ٢٦٨ ، و«العبر»: ٤/ ٢٧٢ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٠١ .

أخو البهلوان لأُمِّه، فلم يزل طغريل تحت يده حتى أنف من الحجر، فخرج عن يده، وانضاف إليه جماعة من الأُمراء، وكسر عسكر الخليفة، وأسر ابن يونس ـ كما ذكرنا ـ وهابته الملوك، وخاف منه القزل، وانضاف إلى طغريل عِدَّةٌ من مماليك البهلوان، فقيل له: لا تأمن أن يغتالوك فيقتلوك! فقتل جماعةً منهم، وفارقه الباقون، وضعف، فقصده قزل، فهرب منه، فولى قزل سنجر بن سليمان شاه، وخاطبه بمعين الدِّين.

وكان طغريل سفَّاكاً للدِّماء، قتل وزيره رضي الدين الغَزْنوي، وفخر الدين العلوي رئيس هَمَذَان، وزوجه حسن بن قفجاق أُخته، وجمع القزل عليه التُّرْكمان، فكسر طغريل، وحَبَسَه في بعض القلاع، فلما قُتِلَ قزل تعصَّب لطغريل امرأةٌ في القلعة التي كان بها، وشَرَطَتْ عليه أن يتزوَّجها إذا خلَّصَتْه، فأخرجته، فجاء إلى هَمَذَان، فالتقاه قتلغ ايناخ، وكان نائباً عن قزل في الأتابكية، فاقتتلوا، فانهزم قتلغ، واستولى طغريل على المماليك، وزوَّج أم قتلغ إلى خوارزم شاه. وقيل: إنه قتل أم قتلغ أيضاً، وعرَّف قتلغ خوارزم شاه ما فعل طغريل، فخرج الخوارَزْمي في عساكره إلى العراق، وسار إليه طغريل، فالتقيا على الرّيّ، فجاءت طغريل نُشَّابة في عينه، فضربه مملوكٌ له بالسَّيف من ورائه، فقتله، وقَطَعَ رأسه، وحمله إلى الخوارزمي، فبعث به إلى بغداد، فدخلوا به في جُمادى الأُولى على خشبةٍ، وكوساتُه مشقَّقة، وسنجقه وراءه مكسورٌ منكس.

قال المصنّف رحمه الله: وقد رأيتُه، وكان من أحسنِ النَّاس صورة، ووجهه كأنَّه القمر، وأثر النُّشَّابة في عينه، وعلى خدِّه ضربة. قالوا: كان دور سيفيه عشرة أشبار، وعُلِّق رأسه بباب النوبي، ثم رُدَّ إلى خزانة الرؤوس، فجاءت فأرةٌ، فأكلت أنفه وأُذنيه، وبقي الرأس إلى سنة إحدى وست مئة، فوقع حريقٌ في خزانة الرؤوس، فاحترق الجميع. وكتب خوارزم شاه إلى الخليفة كتاباً يضمن الطاعة، واستولى على خُراسان والجبال والرّي وأصبهان وغيرها مضافاً إلى ما بيده مما وراء النَّهر.

وهذا طغريل آخر السَّلْجوقية، وعِدَّتهم نيف وعشرون ملكاً، ومُدَّة ملكهم مئة وستون سنة، أولهم طُغْرُلْبَك، وأول ما ظهرت راياتُه من خراسان سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، ودخل بغداد سنة سبعٍ وأربعين، وأعاد القائم إلى بغداد سنة إحدى وخمسين، وتوفي سنة خمس وخمسين وأربع مئة، ولم يكن له ولد، فولَّى ألب رسلان بن داود بن

ميكائيل بن سَلْجوق، هو ابن أخي طغرلبك، وكَسَرَ ملك الرُّوم، وقُتل بما وراء النهر، وملك ثماني عشر سنة، وقيل: عشرين.

وأخوه قاروت بك لم يستقم له أمر، وخُنِق.

وولي بعد ألب رسلان، ولده ملك شاه، وملك الدنيا، وأقام تسع عشرة سنة، ومات سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وكان نظام الملك وزيره ووزير أبيه.

وقام بعده ولده محمود بن خاتون، ومات في هذه السَّنة، وقام بركياروق بن ملك شاه، ونازعه عمه تاج الدولة تُتُش صاحب الشَّام، فقتله بركياروق، وأقام سُلْطاناً اثنتي عشرة سنة، وخُطِبَ له ببغداد ستّ دفعات، وجرى بينه وبين إخوته محمد وسنجر حروب.

وملك بعد بركياروق أخوه محمد، فأقام اثنتي عشرة سنة، ومات سنة إحدى عشرة وخمس مئة.

وقام بالأمر بعده ولده محمود بن محمد، فأقام والياً أربع عشرة سنة، وعهد إلى ابنه داود، ففوَّض سنجر الملك إلى طغريل، وجعل لداود ما يكفيه، ثم طمع مسعود أخو محمود في الملك، ودخل بغداد سنة ست وعشرين وخمس مئة، [وخطب له بالسلطنة، ولابن أخيه، وتوفي طغريل في سنة تسع وعشرين وخمس مئة][1]، واستقلَّ مسعود بالمُلْك، وطالت أيامه، فأقام نيفاً وثلاثين سنة، وقتل المسترشد [والرَّاشد][1].

وقام بعده ملك شاه بن محمود بن أخي مسعود، فأقام ثلاثة أشهر، وكتب خاصْبَك إلى محمد بن محمود أخي ملك شاه، وخدعه، وقبض على ملك شاه، فملك محمد بن محمود وقتل خاصبك، ونفر منه إلدكز وآق سُنْقُر، وقصداه، فهرب منهما، وملَّكا أخاه سليمان شاه، وجاء ملك شاه يقصد بغداد، فخرج إليه الخليفة، فدفعه، وفي سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة انحلَّت دولة بني سَلْجوق، واستولى الغُزّ على سنجر، وكانت دولتهم مستقيمة من سنة ثلاثين أو اثنتين وثلاثين وأربع مئة إلى سنة ثمان وأربعين

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وخمس مئة، ثم بدأت في النقض، ومات فيها سنجرشاه، وحاصر محمد شاه بغداد، وهو آخر مَنْ حاصرها، ومات محمد سنة أربع وخمسين وخمس مئة.

وقام بعده أخوه سليمان شاه، وخالفه أخوه ملك شاه، وتوفي أرسلان شاه بن طغريل بن ملك شاه سنة سبعين وخمس مئة.

وقام بعده ولده طغريل شاه وأتابكه محمد البهلوان، وقتل في هذه السنة، وهي سنة تسعين وخمس مئة، [فكان آخر ملوكهم][1].

السَّنة الحادية والتسعون وخمس مئة

فيها ملك ابنُ القَصَّاب وزير الخليفة بلاد خوزستان: ششتر وأعمالها، ويقال: إنها تشتمل على أربعين قلعة، وقيل: بل ملكها في السنة الماضية، ودخل الأمير علي بن شملة وسوسان بغداد في صفر، وأخليت لهم الدور، وباتوا وأولادهم ببغداد.

وفيها أقطع العزيز فارس الدين ميمون القصري نابُلُس، فأقام في سبع مئة فارس في مقابلة الفرنج.

وفيها كانت وقعة الزلاقة[2] بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنش ملك طُلَيْطُلة، وكان [الفنش][1] قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها، [وكان][1] يعقوب مشغولاً عن نُصْرتهم بالخارجين عليه، وبينه وبين الأندلس زقاق سبتة، وعرضه ثلاثة فراسخ، ويحتاج في عبوره إلى مشقَّة عظيمة، وطمع الفنش في المسلمين بهذا السبب، فكتب [الفنش][1] إلى يعقوب كتاباً ينخيه: باسمك اللهم الكريم، فاطر السموات والأرض، وصلى الله على سيدنا المسيح عيسى ابن مريم الفصيح.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا قال، وهو وهم أو سبق قلم، والصحيح أنها وقعة الأرك، أما الزلاقة فهي وقعة أخرى كانت سنة (٤٧٩هـ)، وبطلها يوسف بن تاشفين. انظر عن معركة الأرك: المعجب ٤٠٤ـ٤٠٦، وعن معركة الزلاقة: المعجب ١٩٥ـ١٩٩.